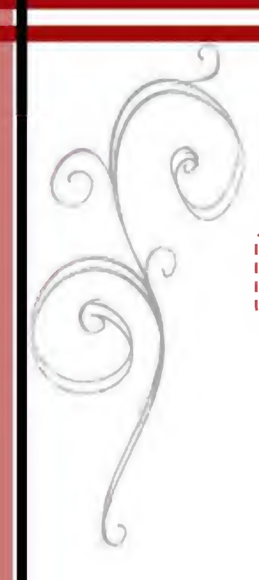


تنبيه هام: هذا التفريغ ليس قابل للنشر، فلم يُعتَمد من قِبل الشيخ – حفظه الله– بَعد، فمن وجد خطأً نرجو تنبيهنا عليه فوراً

شَرْحُ مَنْظُومَةِ

حَـــائِيَّةِ ابْنُ أَبِـــي دَاوُود

– رَحِمَهُ الله –

لِفَضِيلَةِ الشّيْخ أُسَامَة بْنُ عَطَايَا العتِيبِي

–حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى –

:: الدرس الأول ::



دروس معهد البيضاء العلمية

تفريغ: طالبات معهد البيضاء العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:70- 71].

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثه بدعة وكل بدعه ضلالة وكل ضلالة في النار.

ففي هذه الليلة المباركة بإذن الله تعالى، أبدأ معكم بشرح منظومة في العقيدة السلفية ألَّفها وكتبها وأنشدها إمام مشهود له بالإمامة في الدِّين وهو الإمام أبو بكر بن أبي داوود صاحب كتاب **السنن** المعروف.

- **طرق العلماء في بيان العقيدة السلفية:**

وقد تنوعت طرق العلماء –رحمهم الله– في بيان العقيدة السلفية وتوضيحها للناس وتقريبها بجميع الوسائل الشرعية والتي توافق نفوس الناس وما هي مهيأة له وما يكون أرجى للسماع والتعلم والتفقه في عقيدة السلف، وإنَّ هذا التنوع راجع إلى كتاب الله –جلَّ وعلا– وسنَّة الرسول – صلى الله عليه وسلم –وما كان عليه السلف الصالح، فالعقيدة في كتاب الله –عز وجل– في القرآن ما بين إجمال وتفصيل، واختصار وشرح، وتنوع في الأساليب، وبلاغة وفصاحة، بلغت أعظم أساليب البلاغة و الفصاحة كما هو معلوم في كتاب الله – عز وجل– وكونه معجزا بلفظه ومعانيه. كذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم –تنوعت أساليبه في بيان العقيدة السلفية كما في كتاب الله –عزَّ وجل– بالترغيب والترهيب ، في التفصيل بالإطناب، و التطويل أو الاختصار، وكذلك اختيار الأزمنة و الأمكنة المناسبة في مقامات مناسبة و أقوال مناسبة.

- **الشعر في الإسلام:**

ولكن كما نرى فكتاب الله –عزَّ وجل– ليس شعرا و كذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم –﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾[يس: 69] ، إلا أنَّ

رسول الله – صلى الله عليه وسلم –كان يُنشِد أحيانا البيت أو يُنشَد أمامه بيت أو أبيات فيها ما يتعلق بالعقيدة فيقرُّ ذلك كما أُنشد أمامه بعض أبيات أُمية بن أبي الصلت و قد اشتملت على ذكر العقيدة الصحيحة فأقرها صلى الله عليه و سلم كما في صفة حملة العرش أو بعض حملة العرش. كذلك قوله صلى الله عليه و سلم:" أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ "، و على ذلك جرى أئمة السلف. وحسَّان بن ثابت –رضي الله عنه– كان شاعر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –ينتصر لرسول الله –عليه الصلاة والسلام– و يذبُّ عن عرضه و يذكر العقيدة السلفية و يسفِّه أحلام المشركين و آلهتهم بالشعر، فكانت أشعاره عقيدة سلفية صافية و كانت بإقرار رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، فعُلم أن كتابة مسائل العقيدة بالنثر أو بالنظم أمر مشروع دلَّ على ذلك الكتاب والسنَّة؛ أما الكتاب فقول الله –جلَّ وعلا– :﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[الشعراء: 224– 227].

فالشعراء ليسوا مذمومين على كل حال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظُلموا فهؤلاء محمودون ليسوا بمذمومين. وكذلك قال الله –جلَّ وعلا–: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، والرسول – صلى الله عليه وسلم –أقر أبياتا وكذلك أقر حسَّان وأثنى عليه وكان جبريل عليه السلام يسدده مما يدل على أن كتابة مسائل العقيدة بالشعر مشروع بالكتاب والسنة وعلى ذلك جرى أصحاب

رسول الله عليه الصلاة والسلام والتابعون ومن تبعهم إلى يومنا هذا.

وأبو بكر بن أبي داوود –رحمه الله– كان له هذا النصيب الوافر في انتشار أبياته السلفية التي حوت مختصرا لعقيدة السلف و تلقَّاها أهل السنَّة بالقبول ورواها عنه تلامذته بل وشرحوها كأبي بكر الآجرِّي –رحمه الله– وكذلك ابن البنَّا الحنبلي و غيرهم من الأئمة الذين شرحوها من المتقدمين ومن سار على نهجهم من المتأخرين.

- **الإمام أبو بكر بن أبي داود وعلمه:**

أبو بكر بن أبي داوود عالم سلفي استقرت كلمة أهل الحديث و أهل السنَّة على التسليم بإمامته وتقديم فضله وعلوِّ منزلته، فهو قد كان –رحمه الله تعالى– إمام الحنابلة في زمانه وقائد السلفيين في بغداد وإليه المرجع في بيان عقيدة السلف، وكان فقيها محدثا جريئا بالحق داعيا إليه لا يضرُّه في ذلك أحد و لا تمنعه هيبة أحد إلا هيبة الحق هي التي كانت تقوده –رحمه الله تعالى– و قد برَّ أقرانه و فاق أصدقائه و زملائه في الحفظ و الفهم و الإمامة في الدين.

- **الإمام أبي بكر بن أبي داود والبلاء:**

ولكن الإنسان قد تصدر منه أحيانا بعض التصرفات التي يفعلها بناءا على سجيَّته و حسن نية و قصد لكنها تسبب له المتاعب مع أصدقائه و زملاءه فربما حصل النزاع و الشرور بسبب تلك التصرفات، لذلك فقد حصل لابن أبي داوود بلاء ومحن من مخالفيه لكن من خالفه من إخوانه من أهل السنَّة، فإن هذه المخالفة لم تقدح في دينهم جميعا بل كلهم يُذكرون بالجميل و ثبتت إمامتهم جميعا كابن صاعد و إبراهيم الأصبهاني و كذلك ابن أبي داوود نفسه

فكلهم إمام من أئمة أهل السنَّة و لا يذكر هؤلاء العلماء بالسوء إلا أهل الهوى و أهل البدع كالكوثري، حيث إنه إذا جاء إلى إسناد فيه ما يُخالف هواه سواء في ما يتعلق بإمامه أبي حنيفة –رحمه الله– أو ما يتعلق بالعقيدة فإنه يبحث عن أي مغمز أو أي مدخل لأجل أن يقدح في هذا العالم، بل حتى في أصحاب رسول الله عليه الصلاة و السلام قدح و طعن فلم يسلم منه إمام سلفي ولا صحابي الذين هم أئمة السلف –رحمهم الله و رضي عنهم–. فكان لابن أبي داوود نصيب كبير من قدح أمثال الكوثري من الجهمية و أهل الضلال و الانحراف. و أما عند أهل السنَّة فكلهم يقرون بإمامته و صحة عقيدته و صحة مؤلفاته، لكن ما رواه مثل ما رواه غيره يحتاج إلى نظر و بحث في إسناده، أما هو فقد اتفقت كلمة أهل الحديث و أهل السنَّة على ثقته و ديانته و رفعة منزلته.

- نسب الإمام أبي بكر بن أبي داود:

والإمام ابن أبي داوود أسمه عبد الله وكنيته أبو بكر، وهو عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمر الأسدي السجستانى، وقد ولد رحمه الله سنة ثلاثمائة وثلاثين وطلب العلم في حداثته، وكان أول شيخ سمع منه محمد بن أسلم الطوسي –رحمه الله– الذي كان يُعدُّ هو إمام الفرقة الناجية في زمانه، فأبوه –رحمه الله– أبو داوود سليمان بن الأشعث اهتم بابنه وأسمعه الحديث واستجاز له أئمة الحديث في ذلك الزمان. وأبو داوود –رحمه الله– كان له وجاهة عند أهل الحديث وكانت له منزلة رفيعة عند أهل السنَّة، لذلك سهَّل هذا الأمر على ولده أبي بكر عبد الله بأن يسمع الحديث من جميع الأئمة الذين كان أبوه يحرص على سماعه منهم وكانت وجاهة أبيه كافية

لأن يُسمعوه ويعتنوا به.

- **إمامة الإمام أبي بكر بن أبي داود وزهده:**

وقد استفاد من أبيه الخلق الحسن والعقيدة الصافية والهمة العالية فكان -رحمه الله- زاهدا في الدنيا حريصا على العلم والتزود منه، حتى أنه قال -رحمه الله-:" دخلت الكوفة ومعي درهم واحد فاشتريت به ثلاثين مد بقلّاء فكنت آكل كل يوم مدا". يعني المد هو ربع صاع يعني قرابة ستمائة وخمسين جرام من البقلّاء يعني نحو نصف كيلو منها هذا طعامه ، ويكتب عن أبي سعيد الأشج وهو من أئمة الحديث الذين اتفق المحدثون على جلالته وإمامته، فكان يكتب كل يوم ألف حديث بمعنى ألف إسناد سواء كان مرسل أو مقطوع أو سواء قول صحابي أو سواء حديث مرفوع عن رسول الله عليه الصلاة والسلام "فلما كان الشهر حصل معي ثلاثون ألف حديث"، لذلك فابن أبي داوود زهد في الدنيا وتفرغ لطلب العلم ووهبه الله -عزَّ وجل- وحباه ذاكرة قوية فكان حافظا لا يشق له غبار.

يقول -رحمه الله تعالى- أنه أملى على الناس في سجستان ثلاثين ألف حديث من حفظه ولم يُخطّأ إلا في ستة أحاديث أو سبعة، يقول -رحمه الله- حدثت بأصبهان من حفظي ستة وثلاثين ألف حديث يعني ستة وثلاثين ألف إسناد ألزموني الوهم فيها في سبعة أحاديث فلما انصرفت إلى العراق وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به يعنى فقط أخطأ في حديثين.

فالإمام ابن أبي داوود قد بلغ مبلغ عظيما في الحفظ ومع ذلك فقد كان فقيها صادقا تقيا ورعا إلا أنه حصلت بينه كما ذكرت لكم وبين قرنائه بعض

التباغض الذي لم يؤثر بحمد الله تعالى في إمامة أحد منهم.

- **الإفتراءات التي نسبت الإمام أبي بكر بن أبي داود:**

ومما يثيره أهل الباطل عن ابن أبي داوود أن أباه قال عنه كذَّاب ولكن ذكر المعلِّمي –رحمه الله– أن هذا لا يصح عن أبي داوود والإسناد الذي ذكره ابن عدي في كتاب **الكامل** مع أن ابن عدي –رحمه الله– ترجم له في الكامل قال في آخر ترجمته:" لولا شرطنا أول الكتاب أن كل من تكلم عنه متكلم ذكرته في كتابي هذا وابن أبي داوود قد تكلم فيه أبوه وإبراهيم الأصبهاني" إلى أن قال:" هو معروف بالطلب وعامة ما كتب مع أبيه أبي داوود" ثم قال:" فهو مقبول عند أصحاب الحديث وأما كلام أبيه فيه فلا أدرى ما تبين له منه" إذا ابن عدي اعتذر بذكره له في الكامل بأنه اشترط في كتابه بأن يذكر كل من تُكلم فيه سواء بحق أو بباطل، وهو يرى أنه لم يثبت فيه الجرح، بل أهل الحديث قد تلقوه بالقبول.

- **الرد على الإفتراءات التي جاءت على الإمام أبي بكر بن أبي داود:**

إذا الجواب عن رمي أبي داوود لابنه بالكذب من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا الإسناد الذي رواه ابن عدي لا يصح كما بينه المعلمي –رحمه الله تعالى– حيث قال الداهري وابن كركر لم أجد لهما ذكرا في غير هذا الموضع. الداهري هو علي بن عبد الله الداهري شيخ ابن عدي وأحمد بن محمد بن عمر بن عيسى كركر هذا يقول عنه المعلمي وعن شيخ بن عدي أنه لم يقف لهما على ترجمة.

الوجه الثاني: أن هذا إن صح فإنه محمول على غير الكذب في الحديث، إذ لو كان ابن أبي داوود كذابا لفضحه الله ولتبين هذا من رواياته ولحدَّث

بحديث مكذوب وهذا لم يحصل منه –رحمه الله– فتبين أن كلام أبي داوود – رحمه الله– ليس في الحديث.

الوجه الثالث: أن بعض العلماء ذكر أن هذا قد يكون من باب الكذب في حديث الناس، ونحن نقول هذا لا يصح إذ هو احتمال لا يتماشى مع إمامة ابن أبي داوود، بل يُحمل على أنه –رحمه الله– قد يكون ورَّى لأبيه فأبوه حكم عليه بالكذب بالنسبة لما فهم من كلام ابنه الذي ورّى في كلامه. والتورية أن يذكر كلاما يُفهِم السامع شيئا وهو يريد شيئا آخر والكلام محتمل فهذا الذي ينبغي أن يحمل عليه إن صح تكذيب أبي داوود لابنه.

الوجه الرابع: أن بعض العلماء ذكروا أن سبب هذا الكلام هو كثرت تباهي ابن أبي داوود بالحفظ والبزِّ عن الأقران فقوله مثلا أنا احفظ جميع أحاديث فلان أو فلان أو فلان، فيرون أن هذه دعاوى عريضة، ولعل أباه بسبب هذه الدعاوى وصفه بذلك ولكن هذا أيضا محتمل ولا يعني أنه كذَّاب في لهجته، بل هذا رأي ففيما يرى أبو داوود أن هذه الدعاوى يستحق صاحبها أن يُقال له كذَّاب لكن غيره يرى أن هذه الدعاوى في محلها وابن أبي داوود قد بلغ في الحفظ مبلغا عظيما حتى فضّله بعض العلماء على أبيه وميَّزوه عنه بشدة الحفظ وكثرة الرواية، فقالوا إنه قد فاق أباه.

كذلك رُوي عن إبراهيم الأصبهاني وهو أبو عمران وهو من الثقات توفي سنة ثلاث مائة وتسع وثلاثين قيل أنه قال أيضا أبو بكر ابن أبي داوود كذَّاب. المعلمي –رحمه الله– أيضا قدح في إسناد هذا الكلام وفي متن هذا الكلام والرد على هذا الكلام من وجهين.

الأول: أن الإسناد فيه نظر الذي ذكره ابن عدي حيث قال ابن عدي سمعت موسى بن القاسم بن موسى بن الحسن بن موسى الأشيب يقول: حدثني أبو بكر وأبو بكر هذا يقول المشتهر به ابن أبي الدنيا نعم يقول إنه هذه الكنية لكثيرين ولكنها لم تشتهر لابن أبي الدنيا فهناك إبهام والمبهم حديث الأصل أنه ضعيف ما لم يتميز خاصة إذا كان من شيوخ هذا الرجل من هو ثقة ومن هو ضعيف، فلا يتبين ثبوت هذه اللفظة عن الأصبهاني.

الثاني: أن ابن الأصبهاني لما توفي كان عمر ابن أبي داوود ست وثلاثين سنة ولم يكن قد تصدر للتحديث بعد، فما هو الدافع له أن يرميه بهذا الكلام وهو لم يتصدر بعد، ففي هذا نظر من ناحية المتن.

ثالثا: لو صح أنه قال فكلامه مردود عليه لأن أبا بكر بن أبي داوود لم يثبت عنه كذب بل هو إمام جبل ثقة وهذا وهم من إبراهيم بن الأصبهاني إن صح عنه نقول إنه قد وهم ولعله ورَّى له في الكلام أو ادعى دعوى كبرت على إبراهيم الأصبهاني فقال ما قال وإلا فكلامه مردود عليه.

- **تزكيات العلماء للإمام أبي بكر بن أبي داود:**

اتهم ابن أبي داوود بأنه ناصبي في قصة جرت له، ولكنه إمام من أئمة أهل السنة يحب آل البيت وليس بناصبي وليس بمطعون فيه بل هو عالم سلفي كبير أثنى عليه أهل السنة وتلقوه بالقبول وتلقوا مصنفاته بالقبول، ولهجوا بالثناء عليه ومدحه والرفع من شأنه والدفاع عنه –رحمه الله تعالى– فمن ذلك ما قاله أبو حامد بن أسد المكتب :"ما رأيت مثل عبد الله بن سليمان بن الأشعث يعني في العلم"، وقال أبو الفضل صالح بن الإمام أحمد بن حنبل: "أبو بكر عبد الله

بن سليمان إمام العراق وعلَّم العلم في الأمصار نصب له السلطان المنبر فحدَّث عليه لفضله ومعرفته وحدَّث قديما قبل التسعين ومائتين قدم همذان سنة نيِّف وثمانين ومائتين وكتب عنه عامة مشايخ بلدنا ذلك الوقت". إذا هذا أبو الفضل صالح بن أحمد الحافظ الهمذاني يقول: "وكان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو" وقال الخطيب: "كان فهما عالما حافظا" وقال أيضـاً: "كان زاهدا عالما ناسكا" -رضي الله عنه وأسكنه الجنة برحمته-. انتهى كلام الخطيب البغدادي.

وقال الذهبي -رحمه الله-: "كان شهما قوي النفس وكان رئيسا عزيز النفس مُدلا بنفسه سامحه الله"، قال المعلِّمي -رحمه الله-: "أطبق أهل العلم على سماع ابن أبي داوود وتوثيقه والاحتجاج به ولم يبقى معنى للطعن فيه" ، بل قال في الميزان: "وما ذكرته إلا لأنزهه"، يعني مما رُمي به وكانت بينه خصومة بينه وبين ابن جرير الطبري وخصومة بينه وبين الإمام يحيى بن صاعد وكلام الأقران في مثل هذا الحال يُطوى ولا يُروى لأنه في إمام ثبتت إمامته وبكلام لم يثبت إسناده وفيه معنى التباغض الذي قد يؤدي بعض التصرفات التي لا تقدح في ديانة ولا تقدح في عدالة.

- **وفاة الإمام أبي بكر بن أبي داود:**

توفي -رحمه الله تعالى- سنة ست عشر وثلاثمائة من الهجرة النبوية، وقد كتب عدة مصنفات منها كتاب **المصاحف** وكتاب **السنن** أيضا ومنها هذه الحائية التي تلقاها الأئمة بالقبول والتي تبدأ بقوله -رحمه الله تعالى-:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ***** ولا تك بدعيا لعلك تفلح

إلى آخرها وهي ثلاثة وثلاثون بيتا أبدأ بشرحها بحول الله وقوته.

قال –رحمه الله تعالى–:-

بسم الله الرحمن الرحيم

هكذا ثبت في بعض النسخ عنه –رحمه الله تعالى– أنه بدأ بالبسملة والبداءة بالبسملة إقتداء بالكتاب العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42] ،ورب العزة والجلال بدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم في أول سورة وهي الفاتحة، وكتب الأنبياء كانت تبدأ ببسم الله ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: 30] وكَتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –إلى هرقل "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم". وهكذا جرى عمل أئمة السلف البداءة ببسم الله الرحمن الرحيم في مكاتباتهم وفي مؤلفاتهم.

وبسم الله الرحمن الرحيم يعني ابتداء قراءتي بسم الله الرحمان الرحيم يتبرك بذكر اسم الله. وفضائل البسملة كثيرة، وما روي في الحديث "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمان الرحيم فهو أبتر" فهو حديث موضوع أو ضعيف جدا، وأما رواية "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر" فهو حديث ضعيف مرسل، والصحيح هو– قوله صلى الله عليه وسلم–:" الخطبة التي ليس فيها حمد كاليد الجذماء" والله أعلم.

وبسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله يعني ابتدائي وقراءتي وكتابي أو بسم الله أكتب هذا المعتقد والله –جل وعلا– ذو الألوهية والعبودية على خلقه

أجمعين الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وهذه العقيدة إنما هي لتنزيهه ولبيان حقه –جل وعلا–.

الرحمن الرحيم صفتان في اسمين من أسماء الله الحسنى الرحمان والرحيم، والرحمان أعم من الرحيم فالرحيم أخص وهو بالأولياء والأتقياء بعباده المؤمنين وتتجلى رحمته يوم القيامة.

أما الرحمن فهو في الدنيا والآخرة يرحم من شاء من خلقه واسم الرحمان لم يشاركه فيه أحد إلا من بلغ الغاية في الكذب والدجل ألا وهو مسيلمة الكذاب الذي تسمى برحمان اليمامة، أما الرحمن على الإطلاق فلا يعرف أن أحد تسمى به أبدا فلان يتسمى بأنه الرحمان على الإطلاق فلا يعرف أن أحدا تسمى به أبدا، أما مسيلمة الكذاب فقد تسمى برحمان اليمامة فوصف نفسه بالرحمة الخاصة وسمَّا نفسه برحمان اليمامة وهو خبيث ملعون كافر صار وصف الكذب ملازما له إلى يوم الدين.

قال –رحمه الله تعالى–:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى *** وَلا تَكُ بِدْعِيًا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

يوصي الإمام بن أبي داوود المسلمين أن يتمسكوا بحبل الله وأن يتبعوا الهدى وأن يبتعدوا عن الهوى والردى، وإنما يكون ذلك بالابتداع في الدين. فمن تمسك بحبل الله واتبع الهدى فهو من الناجين والله –جل وعلا– لا يخذل عباده المتقين فقوله تمسك يعني أمسك وتوثق بحبل الله، وحبل الله –عز وجل–

هو السبب الموصل إليه. فالحبل هو الواصلة وما يتوصل به إلى الشيء، فحبل الله هو ما يتوصل به إليه وإنما يتوصل إلى الله –عز وجل– ويبلغ العبد به مرضاة ربه هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فحبل الله هو كتاب الله، وقد قال صلى الله عليه وسلم:**" القرآن هو حبل الله الممدود بين السماء والأرض"** وكذا قال عبد الله بن مسعود فيما صح عنه –رضي الله عنه– أنه قال في القرآن أنه حبل الله وقال النبي عليه الصلاة والسلام:**" إن هذا القرآن سبب"** يعني حبل وموصل وطريق **"طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا"** وهذا حديث صحيح على شرط مسلم وقد خرَّجه عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن نصر في قيام الليل وغيرهم. فحبل الله هو كتاب الله، وقال الله –جل وعلا–: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: 103]، والاعتصام هو التمسك، لأن التمسك في اللغة الأخذ بالشيء والاعتصام به فقوله واعتصموا بحبل الله أي تمسكوا به. وحبل الله هو القرآن الكريم، وقال –جل وعلا–: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: 170].

فالمصلح وهو الصالح لما في نفسه المصلح لغيره إنما يكون كذلك إذا كان متمسكا بكتاب الله –عز وجل–. والتمسك بكتاب الله هو جماع الهدى لأن كتاب الله –عز وجل– شامل كامل ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: 38] وكتاب الله –عز وجل– نور كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ ﴾ يعني استمسكوا بالله وبحبل الله وبالنور المبين الذي هو القرآن

الكريم ما هو ثوابهم؟ لعلك تفلح هنا يقول :﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: 174-175].

لذلك عطف إتباع الهدى على التمسك بحبل الله -عز وجل- لأن المتمسك بحبل الله مهتد فقال تمسك بحبل الله واتبع الهدى. وربنا -جل وعلا- وعد المعتصمين به وبكتابه أنه يهديهم إليه صراطا مستقيما. إذا تمسك بحبل الله واتبع الهدى، والتمسك بحبل الله بمعنى أنك تأخذ بما في كتاب الله - جل وعلا- وتعمل به وتعتقد ما فيه، فقول وعمل وليس قول ودعوى بلا عمل. إذا لابد من العمل التمسك والأخذ بقوة ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾[الأعراف: 145] لا يكون إلا بالقول والعمل؛ قول اللسان وقول القلب وعمل القلب وعمل الجوارح.

والتمسك بحبل الله هو تمسك بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الله -جل وعلا- يقول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم:3- 5]، وقال عليه الصلاة والسلام:" **ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**" فالقرآن والسنة متلازمان فمن اعتصم بحبل الله اتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فحبل الله يشمل القرآن أصالة ويشمل السنة أصالة وتبعا لأن السنة أيضا هي وحي من الله -عز وجل-. وقال النبي عليه الصلاة والسلام:" **أكتب والذي نفسي بيده لا يخرج منه إلا حقا**" يعني لا يخرج من النبي عليه الصلاة والسلام إلا الحق. هذا لما عاتبت قريش عبد الله بن عمر على كتابته كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام كله فقالوا إنه يعني

مثلنا من البشر يغضب فقد يتكلم بأشياء في الغضب، فامتنع عبد الله بن عمر عن الكتابة فالنبي عليه الصلاة والسلام سأله عن ذلك فقال له ما حصل فقال له:" اكتب والذي نفسي بيده لا يخرج منه إلا حق" أو "لا أقول إلا حقا"

واتبع الهدى: إتباع هو الذي جاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فالذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من الهدى هو كتاب الله –عز وجل– وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –أما كتاب الله فقد وُصف بأنه هدى قال تعالى في أول سورة البقرة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿آلم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:1- 2]، فإتباع الهدى هو إتباع للقرآن والسنة واتبع الهدى يعني ما فيه هدايتك للرشاد فإتباع القرآن هو إتباع للهدى وقال – سبحانه وتعالى- بعدها :﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 3- 5] فإتباع الهدى هو إتباع ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم –من عند ربه من الهداية الشاملة للكتاب والسنة ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ ﴾ [آل عمران: 73] ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ [البقرة: 120] قال –سبحانه وتعالى- :﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾[البقرة: 185]ووصف القرآن ووصف النبي – صلى الله عليه وسلم –ووصف هذا الدين بأنه هدى هذا قد جاء في آيات كثيرة في كتاب الله –جل وعلا– في نحو خمسين آية أو أكثر في كتاب الله –جل وعلا-. فإتباع الهدى هو إتباع للقرآن والسنة.

ولكن لماذا عطف الشيء على نظيره أو على مثله؟ فإذا كانت عبارة تمسك بحبل الله كافية فلماذا كرر وعطف؟

-فأقول إن العطف فيه فائدة لتنويع الألفاظ .

-وكذلك لمزيد الحث على التمسك بهذا الأمر الذي قد يظهر أن فيه التكرار.

- ثالثا أنه فيه تنبيه على أمرين مهمين: الأمر الأول وهو التمسك بكتاب الله والاعتصام بحبل الله، والأمر الثاني الإتباع، فديننا مبني على الاعتصام بالكتاب والسنة وعلى الإتباع، ففيه نفي لمنهج أهل الباطل المبني على الاستقلال بالآراء والأهواء وعلى الرجوع إلى العقول والأوهام والخيالات والحكايات والمنامات وترك الكتاب والسنة وترك الهدى الذي جاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم –والذي أنزله الله للناس.

ففي هذا بيان لحقيقة منهج السلف أنه منهج يعتصم بكتاب الله وسنة رسول الله– عليه الصلاة والسلام– ومنهج إتباع لا ابتداع كما قال عبد الله بن مسعود:" اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"، لذلك ناسب أن يذكر بعد هذا الكلام ولا تك بدعيا فنهاه عن الابتداع لما أمره بالإتباع. فهذا هو فائدة تكرار هذه الجملة وإن دلت عليها الأولى لكن فيها من المعان الهامة التي تحتاج إلى ذكر و التنبيه. فبعد أن أمر بالتمسك بكتاب الله وإتباع الهدى نهى عن الابتداع الذي هو إتباع للهوى لأن الهدى فيه معنى الدلالة والهوى فيه معنى السقوط والضياع فإتباع

الهدى إتباع شيء فيه علامات، فيه دلالات، فيه أنوار، فيه منارات تهديك الطريق وهو كتاب الله وسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم –أما الهوى فإنه يهوي بصاحبه في النار ولا ترى إلا السقوط والسفور ولا ترى في البدعة إلا الظلام والضياع. وكلما الإنسان ابتدع في الدين كلما ابتعد عن رحمة رب العالمين وكلما ظهر من فساد نفسه وخبث طويته ما هو معلوم من حال أهل البدع والضلال حتى يصل بهم الابتداع إلى الانسلاخ من الدين بالكلية.

فالبدع بريد الشرك كما أن المعاصي بريد الكفر. فالإنسان كلما كثر تساهله في المعاصي والذنوب أصبح قريبا من الكفر حتى أن من كثرت ذنوبه ترك الصلاة ومن ترك الصلاة لا خير فيه، لا خير في تارك الصلاة، فيوصله فعله للمعاصي إلى أن يكفر بالله. وأما البدع فمازال يبتدع في الدين ويتبع الهوى ويقعِّد القواعد الفاسدة حتى يصل به الأمر إلى الشرك بالله –عز وجل– وإلى الاستهزاء واستحقار كتاب الله –عز وجل– كما قال –سبحانه وتعالى– : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، قال الإمام أحمد:" الفتنة الشرك"، وما يدريه لعله إذا ترك الهدى وابتدع في الدين وما يدريه لعله يقع في قلبه شيء مما أمر الله به أو أمر به الرسول– صلى الله عليه وسلم– لذلك نجد في هؤلاء المحدثين في الدين الذين يسلكون البدع التشكيك حتى في أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي بعض التشريعات. فليحذر الإنسان من البدع فإنها بريد الشرك.

ولا تك بدعيا: والمبتدع في الدين: هو الذي يسلك طريقة في الدين غير مشروعة يقصد بها التعبد.

يعني هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بها المبالغة في التعبد فلذلك الإنسان يتبع ولا يبتدع يسلك طريقة السلف الصالح يستمسك بحبل الله ويعتصم به فإن من فعل ذلك واتبع أوامر الله واجتنب نواهيه فلعله يفلح.

ولعلك تفلح: هذا إما أن يقال أن لعل هنا ليست للترجي، وإنما هي لتحقق حصول الفلاح بإتباع الهدى، أو يقال لعلها ترجي أنه لابد أن يوافق هذا توفيق الله –عز وجل–، لأن الإنسان وإن عمل ما عمل فهو يفتقر إلى هداية الله يفتقر إلى توفيق الله لذلك يُرجى له الفلاح. وهذا فيه تنبيه دقيق إلى أن الإنسان دائما يرجو رحمة الله، يكون بين الخوف والرجاء، لعلك تفلح، لعل الله يغفر لنا، لعل الله يرحمنا.

الإنسان يرجو رحمة الله كما قال –سبحانه وتعالى– في وصف المتقين قال في سورة الإسراء: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء: 57].

فهؤلاء أهل الإيمان كما في حديث عائشة –رضي الله عنها– أنهم يعملون العمل ويخشون أن لا يتقبله الله –عز وجل– فهم في وجل دائم من أن لا تُقبل

منهم أعمالهم، وهكذا السلفي فإنه يكون بين الخوف والرجاء لا يكون آمنا مطمئنا من مكر الله –عز وجل– لا يأمن مكر الله فإن من أمن مكر الله فإنه من الخاسرين الهالكين.

فبارك الله فيكم السلفي يرجو رحمة الله ويعمل العمل وهو يرجو أن يتقبل الله منه، لذلك قال –رحمه الله– "**لعلك تفلح**" مع هذا مع تمسكك بالسنة، تمسكك بكتاب الله –عز وجل–، اعتصامك بحبل الله، إتباعك للهدى، وبذلك الجهد في ذلك، لابد أن ترجو رحمة الله وأن تخاف عقاب الله وأن لا تكون على طمأنينة تامة من أن الله سيقبل عملك لا، أُرجو رحمة الله واسأل الله القبول والله أعلم.

ثم قال –رحمه الله تعالى–:-

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي * أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ**

معنى دن:دن من الفعل دان، دان بكذا أي اعتقد به. ودان لكذا يعني خضع له. فهنا يقول لك دن بكتاب الله يعني اعتقد بصحة وصدق كتاب الله –عز وجل– وبالسنن التي أتت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهذا التدين لأجل أن كتاب الله حق وأنه نزل من الله –عز وجل– أسمعه جبريل وجبريل سمعه من رب العالمين وأنقله إلى محمد – صلى الله عليه وسلم –ومحمد الصادق المصدوق نقله لنا بكل صدق وأمانة وبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة. فيجب علينا أن ندين بكتاب الله، يعني أن نعتقد بصحته وأن نؤمن به وأن لا نهجر الإيمان به وهو أول معنى من معاني الهجر ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: 30]

فالدينونة بكتاب الله والتدين به إنما يكون أولا بالإيمان به بأنه كلام الله وأنه من عند الله وحيا وانه صدق وحق ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت : 42] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ [الحج: 6] و–سبحانه وتعالى– كلامه حق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً ﴾[النساء: 122] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 87] فالإنسان يدين بكتاب الله فإذا آمن وصدق أنه من عند الله وأنه وحي وحق وهدى فإنه يجب عليه أن يعمل بما فيه فإن اعتقد صحة ما فيه وجب عليه أن يعمل بما فيه. وترك العمل به إنما يكون إما لعدم الإيمان لما فيه وعدم الإيمان بصحته وإما لضعف ذلك فهذا الذي يؤدي إلى الخلل في العمل.

كذلك يجب أن ندين بسنن رسول الله عليه الصلاة والسلام بأنها حق ما ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام فهو حق فانه لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا حقا وهو كالقرآن في المنزلة وهو – صلى الله عليه وسلم –حكيم ولا يقول إلا الحكمة ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: 34]

فكل ما أتى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –وثبت عنه يجب أن نتدين به وأن ندين به بأنه حق وصدق فإذا آمنا أنه صدق وحق وجب العمل به كما سبق الكلام عن كتاب الله وهو القرآن الكريم.

- **الرسول – صلى الله عليه وسلم – واتباعه:**

ورسول الله عليه الصلاة والسلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي فمحمد رسول الله وهو وصف شريف له – صلى الله عليه وسلم –كما قال –جل وعلا– :﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: 29] إلى آخر الآية فهو رسول الله – صلى الله عليه وسلم –ونبيه وخليله وهو – صلى الله عليه وسلم – قد غفر الله له ما تقدم ن ذنبه وما تأخر وهو صاحب الوسيلة والمقام المحمود الذي يحمده عليه جميع الخلائق وله من الخصائص والأوصاف ما فاق به جميع الخلائق كما قال– صلى الله عليه وسلم–:" **أنا سيد ولد آدم ولا فخر**" ويجب على المؤمن أن يحبه أعظم من نفسه وأعظم من ولده ووالده والناس أجمعين فيقدم محبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –عل محبة جميع الناس وعلى محبة نفسه أيضا وذلك بتقديم ما أمر به الرسول – صلى الله عليه وسلم –وتقديم أمره على أمر غيره فمن دان بكتاب الله وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وتدين بها وعمل بها فإنه ناج وإنه رابح. فالنجاة إنما تكون بإتباع كتاب الله وكذلك الربح كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –للصحابي الجليل:" ربح البيع ربح البيع"، فإنما يكون الربح بإتباع الكتاب والسنة وبما يتحصل من إتباعهما من الثواب العظيم ربح البيع وتعرفون قصة القراء السبعين الذين اغتيلوا فقتل الصحابي فقال "فزت ورب الكعبة" فهو يقتل ويقول فزت؛ لأنه مات شهيدا فهذا هو الربح الحقيقي. والقصة التي تعرفونها أيضا رويت عن عكرمة لما صهيب بن سنان الرومي قال:" أبا يحيى ربح البيع ".

فالنبي عليه الصلاة والسلام ذكر هذا الربح متى ربح البيع؟ لأنه باع شيئا لله -عز وجل- اشترى به جنة عرضها السماوات والأرض يرجون رحمة الله يريدون ثواب الله لذلك قال - صلى الله عليه وسلم -:"ربح البيع" وكذلك قصة أبي الدحداح لما وهب بستانه في بيروحاء، فقال -رضي الله عنه- لامرأته :"اخرجي من الحائط يعني من البستان فإني قد بعته بنخلة في الجنة"، فقالت :"ربح البيع"، أو كلمة تشبهها وهكذا فالرابح في هذه الدنيا هو من باع الدنيا بالدين فاشترى دينه وحافظ على رأس ماله وحصَّن نفسه من الأهواء ومن الشهوات حتى لقي الله -عز وجل- متدينا بكتاب الله وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم -عاش على ذلك ومات عليه فإنه ناج ورابح بإذن الله تعالى.

ثم قال -رحمه الله-:

وَقُلْ : غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَا *** بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

ذكر -رحمه الله- بعد أن بين الواجب على كل سلفي وهو التمسك بالكتاب والسنة وترك البدع وإتباع الهدى وترك الهوى وبين أيضا أن الواجب على كل مؤمن أن يسلم بما في الكتاب والسنة من القرآن والحديث ما ورد من ذلك من صفات رب العالمين ومن الأحكام الشرعية ومن القصص كل ذلك يجب أن يدين به وأن يعتقد صدقه ويعمل بما في الكتاب والسنة حتى يكون ناجيا رابحا ثم ذكر بعض المسائل التي خالف فيها من خالف من أهل الأهواء وتركوا الهدى وتركوا التمسك بالكتاب والسنة وتركوا الدينونة بالكتاب والسنة ودانوا بالآراء والأهواء والفلسفات وكلام اليونان وكلام المشركين وتركوا كلام

رب العالمين وسنة سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - وأعظم مخالفه ومشاقة كانت في ذلك الزمان هي مشاقة الجهمية ومعضلة المعتزلة الذين زعموا أن القرءان مخلوق لينفوا عن الله صفه الكلام ولم يكتفوا بذلك بل عطلوا رب العالمين عن جميع الصفات أما الجهمية فنفوا الأسماء والصفات وأما المعتزلة فأثبتوا الأسماء بدون معان ونفوا الصفات بالكلية وأعظم صفة حصل فيها النزاع وظهر فيها الكلام هي صفه كلام الله –عز وجل– فكلام الله عز وجل ومنه القرآن الكريم ربنا –سبحانه وتعالى– موصوف بالكلام ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: 143]فالله –جل وعلا– أثبت لنفسه في هذه الآية صفة الكلام ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143] و قال –سبحانه وتعالى–: ﴿وكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164] وقال –سبحانه وتعالى–: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾ [التوبة: 6] فالله –جل وعلا– له صفة الكلام وكلامه –سبحانه وتعالى– بحرف وصوت كما في حديث عبد الله بن مسعود:" **فيكلمهم بصوت يسمعونه** "وفي الحديث الآخر "**لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**" ففي هذين الحديثين إثبات أن كلام الله –عز وجل– بحرف وصوت وفي الحديث الآخر أيضا الثابت قال عليه الصلاة والسلام:" **يقول الله عز وجل يوم القيامة يا أدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار**" وهذا الحديث واضح في إثبات الصوت لكلام الله وهذا من حديث أبي سعيد الخذري –رضي الله عنه– كذلك ثبت من حديث عبد الله بن أنيس قال" **يحشر الله العباد** " أو قال" **يحشر الله الناس وأومأ بيده**

إلى الشام عراة غرلا بُهما قلت ما بُهما؟ قال ليس معهم شيء فينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطالبه بمظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطالبه بمظلمة قالوا كيف وأنا نأتي الله عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيئات" فثبت بهذه الأحاديث وغيرها أن كلام الله -عز وجل- بحرف وصوت.

فكلام الله -عز وجل- صفة من صفاته وليس مخلوقا كما زعم الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشاعرة والماتريدية فكلام الله عز وجل حقيقي بحرف وصوت أما تلبيس الأشاعرة أنه نفسي والنفسي ليس مخلوقا وإنما هو شيء واحد لا يتجزأ وهو نفسي والكلام الذي هو كتاب الله القرآن الكريم مخلوق فهذا وافقوا فيه الجهمية والمعتزلة وجاءوا ببدعه ظلما لم تُعرف عند العقلاء ولا عند غير العقلاء من السالفين بل هذه من ابتداع الخالفين.

وقوله كلام مليكنا: يعنى كلام الله ووصف الله -عز وجل- بأنه مليك ثابت في كتاب الله قال -جل وعلا- :**﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾** [القمر:54، 55] وقال – صلى الله عليه وسلم -في دعائه المعروف **"رب كل شيء ومليكه"** ولكن هذا الحديث معروف وهو حديث أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وهو **"اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه"** فهذا الحديث صريح في أن الله عز وجل

يطلق عليه بأنه مليك فقول مليكنا يعني قول الله -عز وجل- غير مخلوق يعني أن الله -عز وجل- تكلم به وهو صفة من صفاته والموصوفات والمضافات إلى الله -عز وجل- إما أن تكون قائمة بنفسها كناقة الله وبيت الله فهذه بإضافة المخلوق إلى الخالق وهي إضافة للتشريف والتنويه والإشادة بذكر هذا المضاف ولأهميات أخرى حسب المضاف وإما إضافة الشيء إلى الله -عز وجل- وهو مما لا يقوم بنفسه إنما يقوم بالموصوف فبإضافة الصفة إلى الموصوف كالسمع والبصر والكلام ونحو ذلك والله أعلم.

قال بذلك -يعني بأن كلام الله ليس بمخلوق- دان الأتقياء: يعنى اعتقدوا وتدينوا وأفصحوا يعني وأوضحوا وتكلموا به بأسلوب فصيح وكفروا بمن قال بأن القرءان مخلوق فالأتقياء هم أصحاب رسول عليه الصلاة والسلام وروي عن بعضهم القول بأن القرءان غير مخلوق وكذلك التابعون صح عنهم وإتباع التابعين أنهم صرحوا بأن القرءان كلام الله غير مخلوق وهؤلاء هم الأتقياء الذين يُتبعون هم السلف الصالح هم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام والتابعون هم الذين يتبعون في هذا لا أهل الأهواء والبدع وهؤلاء الصحابة والتابعون أخذوا ذلك من كلام الله من كتاب الله من القرآن والسنة وأفصحوا بأفصح عبارة وأوضح إشارة تكلموا في كتاب الله -عز وجل- بأنه غير مخلوق وكذلك بأنه كلام رب العالمين وردوا على الجهمية وألفوا المؤلفات منهم عثمان الدارمي والإمام أحمد ابن حنبل قبله وهكذا من بعدهم من أئمة السلف أوضحوا وأفصحوا بطلان القول بخلق القرآن وثبت الإمام أحمد في المحنه ونصر الله -عز وجل- به الملة وقام مقاما كمقام أبي بكر الصديق أيام المرتدين

فرحمه الله وأجزل له المثوبة وبهذا القدر أكتفي والله اعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

